

الملاهي واقترن بها اقتراناً شرعياً غير انه خشي من اهله ان يسقطوه من شرفه لهذا الامر فسافر عنهم بغتة ولم يعلم عنه بعد ذلك شيء . ولما تقرر خبر وفاته سلمت الحكومة املاكه الى ابي ثم بعد وفاة والدي استوليت انا عليها وبقيت والدتك المسكينة في الحالة التي عرفتها من الفقر لانها لم تجد سيلاً للمطالبة بحقوقها وقد اعتنت بك مدة سبع سنوات الى ان اتيت الي . وكان ما كان . وكانت لما ذهبت اليها يوم وصولك الي قد سلمتني رزمة اوراق تتضمن تاريخ وجودك لم يخطر لي النظر اليها الا اليوم ومن مطالعتها علمت ما اخبرتك اياه فانت يا البرتو ابن عمي وانت صاحب هذا القصر واملاكه الفسيحة لا انا فهل تقبلني في ضيافتك . وكان البرتو يدقق في فحص الاوراق وهو داعم الجفن ضيق الصدر فوثب على عنق ابن عمه يقبله وتعانق الاثنان ملياً . ثم قال اتيليو اما الآن وقد اصبحت مثرياً فلا بد من اقترانك بمرغريت لانها هي قالت لي انكما تعاهدا على الزواج وفضلاً عن ذلك فانها لا تحبني كما ذكرت لك فلم يبق وجه لطالبي الاقتران بها وقد طبعت نفساً لك عنها وانا اسأل الله لكما قراناً مباركاً وعيشاً سعيداً . واما انا فساأجته ان اسلوها الى ان يوقفني الله الى غيرها . قال البرتو قد رضيت بذلك لكن بشرط واحد لا بد من اتمامه وهو ان تبقى انت في القصر يعرف باسمك فتكون لنا اماً ونكون لك ابنين . فنهض اتيليو ثانية وعانق البرتو ثم اقترن البرتو بمرغريت ولم يزل اتيليو معها اماً ومرشداً ومدبراً لا شغالهما وقضوا ما شاء الله من الدهر وهم على تمام السعادة والسرور

اليزيدية

هم الطائفة المشهورة وقد اختلف الناس في امرهم اختلافهم في كل جماعة امرها مكتوم والمتعارف انهم فرقة من الأباضية أتباع يزيد بن ابي انيسة ومن مذهبهم ان الله سيبعث رسولاً من العجم ويُنزِل عليه كتاباً جملة واحدة ينسخ به شريعة القرآن

وجاء في معجم بولياي انهم طائفة من الاكراد منتشرون بين الموصل والخابور وجبال سنجار وفي نواحي بغداد وحلب وديار بكر وولاية أروان الروسية وعددهم نحو مئتي الف نفس بعضهم رحالة لا يدينون لحاكم وبعضهم مقيمون تجري عليهم احكام البلاد التي استوطنوها . وهم يقولون بمبدأين احدهما للخير وهو الله والآخر الشر وهو الشيطان الا انهم يقولون ان الشيطان سيعود الى السماء . وصاحب مذهبهم هو يزيد ولهم بعده مصاح هو الشيخ هادي وهم يعظمونهما كثيراً . وقد اوقع بهم رشيد باشا سنة ١٨٣٤ بامر السلطان فأهلك منهم خلقاً لا يحصى . اه بعض اختصار

وقال غيره هم طائفة بالجزيرة وكرديستان يعرفون بمطفي المصايح وعبدة الشيطان ودينهم خليط من جميع المذاهب . وجاء في رسالة لبعض السائح ممن طافوا في تلك النواحي ما يثبت مضمون هذا القول فذكر انهم يعبدون الشيطان ويتعصبون له ويحنقون على من يسبه من سائر الطوائف حتى ان من سبه لا يأمن ان يقتلوه اذا مكنتهم القرص . قال وهم يحتفلون له كل سنة بعيد عظيم يحشد اليه رجالهم ونساءهم وكبارهم وصغارهم فيجتمعون

ليلاً حول بئر عميقة ينصبون عليها المشاعل العظيمة ويأخذون في قرع الطبول والصنوج والرقص والغناء وسائر ضروب اللهو والحلاعة ويوقدون عند فم البئر اجداً لا ضخمة من الحطب فاذا اشتعلت قذفوها في وسط البئر اكراماً للشيطان . ولا يزالون على مثل ذلك الى ان يطفأ آخر لهب من المشاعل التي حول البئر وحينئذ يأتون من الافعال المنكرة مالا يفعله الا الشيطان او من كان ملقنه الشيطان . اهـ

اما تفاصيل معتقدهم فقد وقفنا فيها على رسالة في احدى المجلات الفرنسية منقولة عن السريانية ومعها الاصل السرياني ايضاً وفي رأي مترجمها ان اصل وضعها بالعربية . والكلام فيها حكاية عن لسان واحد من هذه الفرقة ولعله ممن صباؤها انما ان الحديث فيها غير متتابع ولا متناسق وفي بعضه ما لا يحمل ذكره ولذلك رأينا ان نأخذ زبدتها نظرف بها القراء لما فيها من الغرابة قال

يقول اليزيديون بوجود سبعة آلهة هبط احدثهم الى الارض فخلق جهنم والفردوس ثم خلق آدم وحواء وجميع انواع الحيوان . ثم ان آدم ولد توأمين ذكراً وانثى في حديث لا نذكره وأنبأ الله له ثديين فارضعهما مدة سنتين ومنذ ذاك كان للرجل ثدوتان وهذان التوأمين هما اصل اليزيدية . وبعد ذلك تزوج آدم حواء فولد لهما توأمين آخران كان منهما سائر طوائف البشر وكان شيث واخنوخ ونوح وسائر الصالحاء من نسل آدم وحده

ويقولون انه بعد طوفان نوح كان في الارض طوفان آخر وانه لما ارتفع الفلك بنوح ومن معه ساقته المياه حتى صار فوق جبل سنجار

فاصطدم هناك بصخر نأتى فانشقبت فترحت الحية من داخل الفلك وسدت الثقب بنفسها واستمر الفلك سائراً حتى استقر على جبل الجودي . ثم لما كثر نسل الحية وجعل يؤذي البشر امسكها نوح واحرقها بالنار فكانت من رمادها البراغيث وانتشرت في الارض . وقد مضى منذ الطوفان الى اليوم سبعة آلاف سنة وفي كل سنة كان ينزل واحد من الآلهة السبعة المذكورين الى الارض فيضع احكاماً وشرائع ثم يعود الى مكانه . وكان آخر من نزل منهم يزيد الذي هو اله اليزيدية فجعل لهم رموزاً وسناجق^(١) ثم ارتفع الى السماء . وهو فيما روى هذا القائل يزيد بن معاوية وهو خلاف المتعارف على ما تقدم الايماء اليه وذكر له قصة غريبة محصلها ان معاوية كان رجلاً برياً وكان خادماً لمحمد بن اسمعيل بن (عم) وان محمداً قال يوماً لمعاوية ان ذريتك سيكونون اعداءً لذريتي فقال وكيف يكون ذلك وانا لم اتزوج قط ولن اتزوج . ثم كان بعد ذلك ان الله سلط على معاوية عقارب فلدغته في وجهه فقال له الاطباء انه لن يشفى الا بأن يتزوج فزوجوه بامرأة ذات ثمانين سنة فلما اصبحت اذا هي بنت خمس وعشرين فحملت وولدت يزيد

قال وقد كان خلق جهنم على عهد آدم الاول وفي نحو ذلك الزمن ولد ابنه المسمى ابريق شعوتا فانتابته الدمامل مدة ست سنين وكان في هذه المدة كلها يتوجع من عينه وانفه ويده ورجله وكان لديه ابريق فكان اذا

(١) جاء في الهامش الفرنسي ما تعريبه . السنجق كلمة تركية معناها الراية ويطلق اليزيدية على التمثال من الشبه بصورة الطاوس يرمزون به الى الاله وقد يريدون به المكان الذي يطوفون فيه بذلك التمثال

طفق يبكي من الالم تتساقط دموعه في ذلك الابريق حتى اتت على ذلك سبع سنوات وامتلاً الابريق فصبه على نار جهنم فطفئت وأمن الناس حرها وان كل واحد من الآلهة السبعة عمل سنجقاً ولبثت هذه السناجق عند سليمان الحكيم فلما حضرته الوفاة سلمها الى واحد من ملوك اليزيدية ولما ولد بربريا وهو احد آلهتهم جاءهم بها في ابهة عظيمة ونظم لهم نشيدين ينشدونهما امامها باللسان الكردي مع قرع الطبول والصنوج والغزف بالمزامير والتراطن بينهم بكلمات لا تفهم فيقولون هالم هالم الله الحفيظ . وهذه السناجق مودعة اليوم عند امير شيكان المستوي على كرسي يزيد

وعندهم طبقة يقال لهم القوالون وهم مرتبو الاحتفال وهؤلاء يجتمعون عند الشيخ الاكبر المسمى بالامير نائب الشيخ ناصر الدين الذي هو نسروخ اله الاشور بين الاولين ويحججون الى السنجق ولهم اربعة سناجق يزورونها احدها في كلتنيا والثاني في نواحي حلب والثالث في مسقوف والرابع في سنجار فاذا حجوا الى احد هذه السناجق يحملونه ويطوفون به لجباية الصدقات ثم ينقلون به الى الشيخ هادي^(١) فيغسلونه هناك وهم ينشدون ويرقصون ثم يتناول كل منهم قبضة من تراب الشيخ هادي فيدوفها بالماء ويجعلها كتلة بقدر جوزة الغفص يحملها معه للتبرك ويتكسب بها . ومتى اقترب احد السناجق من احد البلدان بعثوا من يشعر القوم بقدمه فيتأهبون

(١) الذي في الاصل السرياني الشيخ ادي وكذلك هو في النقل الفرنسي ولعل لفظه الصحيح الشيخ عدي الا انا رأينا بولياي رواه بزيادة هاء في اوله كما اثبتناه فيما نقلناه عنه قريباً وهو الذي اعتمدناه في سائر المقالة توحيداً للتسمية

لاستقباله والاحتفال به ويخرجون بأسرهم فيسعون بين يديه وقد تزينوا بافضل ملابسهم وتطيبوا واقبلت النساء تزغرد حتى ينتهوا الى بيت يستقرون فيه فتنهال عليهم العطايا من كل واحد من السكان على قدر ما تسع ذات يده اما السناجق الثلاثة الاخرى فاثان منها في الشيخ هادي والثالث في بلد الحسنية^(١) وهم في كل اربعة اشهر يطوفون بواحد منها على التعاقب وعند احتشادهم لاخذهم يستصحبون قبضة من السماق لغسله وشيئاً من زيت الزيتون والفتائل للايقاد لان لكل واحد من هذه التماثيل حجراً يوضع عليه وخادماً يدخل تحت كل حجر فتيلة يوقدها

ثم ان السنة عندهم تبتدى في شهر نيسان فيتعين عليهم انه في آخر يوم اربعاء من السنة يكون في كل بيت لحم فالاغنياء يذبحون الغنم والبقر والفقراء يذبحون الدجاج ونحوها ويطبخونها في ليلة الاربعاء وفي الصباح يقدسون اطعمتهم ويتصدقون عن انفس موتاهم وتخرج النساء والبنات فيظفن في الجبال يجنين الورد وسائر انواع الزهر الاحمر ويجعلنه ضمائم يضعنها في مكان رطب من البيت وفي صباح العيد تكون جميع ابواب المنازل مزينة بالنور الاحمر وتحمل النساء الطعام فيضعنه على القبور ويأتي القوالون فيقرعون الصنوج وينشدون على القبور باللسان الكردي ويطوف المعوذون حول القبور يتلون العزائم لطرد الارواح الخبيثة . وفي ذلك اليوم يجلس الله على كرسيه ويجمع اليه الانبياء والمقرئين ويقول لهم اني نازل الى الارض بين الهتاف والنشيد ثم ينزل هو والذين معه فيقررون

(١) كذا فيما ظنه المترجم صحة هذا اللفظ والذي في الاصل السرياني حزانه

حوادث تلك السنة بعد ان يؤيده الاله الاعظم ويبسط يده لعمل كل ما يشاء
ومن طبقات اهل الدين عندهم طبقة الكوجاك وهم وهفة مقام
الشيخ هادي ولكوجاك صلة مع الارواح السماوية فهم يصرفون عنهم
غضب الله . وهم في كل يوم جمعة يجوبون صدقات لرمزهم فيقف مناديهم
على سطح منزل الكوجاك وينادي ثلاثاً اليوم مائدة الرمز القلاني فيصيخون
باجمعهم لندائه ثم يقبل كل منهم الارض او الحجر الذي يكون بجانبه
وكذلك يفعلون عند كل شروق شمس او غروبها وعند طلوع القمر ومغيبه .
وعند الكوجاك كتب يزعمون انها تنبئهم بكل ما كان منذ وجود الانسان
وقبله الى اليوم الحاضر الا انهم قلما يتفقون على الاحوال المستقبلية فكل
فريق منهم يفند زعم الآخر وهم يعتقدون بالرؤى وينبئون بالمغيبات

ويزعم اليزيديون ان الشيخ شمس الدين احد اوليائهم هو المسيح
ويقولون انهم لم يخلوا قط من الانبياء يعنون بهم الكوجاك وان احد اولئك
الانبياء اخبر عن نفسه بانه كان في فلان يونان عند ما اُتي في البحر وان
آخر كان يتعشى مع الله فاستشاره في ارسال المسيح فاشار عليه ان يفعل
فنزل المسيح الى الارض بعد ما اُجرى آية في الشمس وارشد جماعة اليزيديين
الى سبعة كنوز هي اليوم مودعة في مقام الشيخ هادي

اما سائر عوائدهم الدينية فانهم عند عقد الزواج يأتون برغيف من
بيت المعوذ فيقسمونه شطرين يدفعون الى كل من العروسين شطراً
منهما فياكلانه وان لم يكن ثم معوذ اعتاضوا عن الرغيف باسفافها شيئاً
من تراب الشيخ هادي . والزواج محرّم عندهم في شهر نيسان لانه راس

السنة الا على الكوجاك فانهم يتزوجون اي حين شاءوا . ولا يتزوج احد
منهم من غير طبقة ما خلا الامراء فانهم يتزوجون من تعجبهم من النساء
من اي طبقة كانت . والزواج عندهم من سن العشرين الى الثمانين ولهم ان
يجمعوا بين ست نسوة والبنت لا ترث من ابها وهو يبيعها وياً كل ثمنها
وان كانت لا تريد الزواج تعين عليها ان ترضيه من تعب يديها . وهم
يشربون في العرس الجعة والخمر ما خلا الكوجاك ولهم رقص قبيح يشترك
فيه الرجال والنساء . وقبل ان يذهبوا بالخطيبة الى بيت الخطيب عليها ان
ترور جميع مقامات الرموز حتى كنيسة النصارى اذا اتفق ان تكون في طريقها
ومتى دخلت بيت الخطيب ضربها بشلالة اي بحجر صغير اشعاراً لها بسلطته
عليها ثم يكسرون رغيفاً من الخبز على رأسها رمزاً الى ما يجب ان تفعله من
مؤاساة الفقراء . ويحرم الزواج في ليلتي الاربعاء والجمعة

وعند موت احدهم يجب ان يكون الكوجاك بجانبه وان لم يكن
وضعوا في فيه شيئاً من تراب الشيخ هادي وقبل ان يدفنه يدهنون وجهه
بزيت ويضعون على قبره شيئاً من بعز الغنم . وهم يحملون طعاماً الى موتاهم
ويزين جماعة الكوجاك القبور ويقرأون عليها ويسهرون ويجمعون
باحلام ورؤى ثم ينبئون اهل الميت بما حدث له بعد الموت وعلى اي حال
وفي اي شكل سيعود الى هذا العالم . وذلك انهم يذهبون الى التناسخ فن
مات شريراً انتقلت نفسه الى جسم كلب او خنزير او حمار او غير ذلك
فتلبث فيه الى ان تستوفي عقابها ثم تعود فتحل في جسم انسان ولذلك
فمنهم من يخبأ المال تحت الارض ليأخذه عند عودته في المرة الثانية او الثالثة .

واما انفس الصلحاء فتسكن في الهواء وتنبئ بأسرار الكون ومعانيات القضاء
هذا ما اخترنا اثباته من هذه الرسالة بعد نبذ التافه منها وما لا دخل
له في غرضها مع جمع ما تشئت من معانيها وضم الشبيه الى شبيهه طرداً
لنسقتها وتسهيلاً لتناول جملتها فسبحان من حارت في ادراك كنهه عقول
عباده وهو الهادي من يشاء الى سواء السبيل

عمدة الصفوة في حل القهوة

(نقطة ما في الاجزاء السابقة)

والى هنا كانت عبارة المحضر بحروفه عدا الذي حذف منه اختصاراً
من تراجم الامير والقضاة وغيرهم ومن ذكر جماعة ممن حضر المجلس . واما
نقل صورة كتابتهم فكتب قاضي القضاة صلاح الدين بن ظهير الشافعي
الحمد لله وتوكلت عليه الامر كما شرح ويين ونقح . وكتب القاضي عبد
الغني بن ابي بكر المرشدي الحنفي احمد الله وافوض امري الى الله الامر
كما شرح من مراجعتي في داري بسبب عذر شرعي وقد قامت البينة عندي
بما ثبت من امر القهوة وحرمتها المشروحة فيه اللهم اهدنا الصواب .
وكتب القاضي نجم الدين بن عبد الوهاب بن يعقوب المالكي الحمد لله
العادل في قضائه ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون والطف بنا في كل
حركة وسكون ونعوذ بالله من قبول الزور والتعاطي بحرم الله واسباب
الفجور وقد شهد عندي جماعة من الاعيان ذوي المعرفة والاتقان
بافسادها للابدان وبين ذلك غاية البيان والامر كما شرح فيه من غير

شيء ينفيه . ولا حاجة الى نقل صورة كتابة الباقي لما في ذلك من
التطويل من غير فائدة اذ ليس فيها غير الموافقة على مضمونه بناءً على
الصفات المشروحة فيه التي لا حقيقة لها . على أن اكثرهم كانوا عارفين
بحقيقة الحال بل من شراب القهوة المواظبين عليها ولم يكن لهم غرض في
الكتابة وانما كتبوا اتقاءً فخس الامير لانه كان متعصباً في المسئلة جداً
لاغرائهم له على ذلك وتقريرهم عنده ان له في منعها نفراً عظيماً وثوباً
جزيلاً وكان مع ذلك سفية اللسان جريئاً على القضاة وغيرهم من الاعيان .
وقويت بسبب ذلك شوكة المتعصبين في الباطل ولم يستطع احد ان يثبت
للبحث منهم غير الشيخ نور الدين بن ناصر الشافعي مفتي مكة ومدرسها
وواعظها فانه تصدى لهم ولكنه سمع ما لا يحب بل كفره بعض اهل المجلس
من اجل كلام صدر منه في أثناء البحث ثم لم يقنعوا بذلك حتى عرضوا به
في السؤال الذي كتبوه الى مصر ووصفوه ظلماً باقبح الصفات

واما السؤال المجهر صحبة المحضر للديار المصرية فهذه صورته . ما
قولكم رضي الله عنكم في مشروب يقال له القهوة قد شاع شربه بمكة
وغیرها وصاروا يتعاطونه بالمسجد الحرام وغيره ويدار بينهم بكأس من
اناء آخر وقد اخبر من تاب عنه بان كثيره يؤدي الى السكر واخبر عدول
الاطباء بانه مضر للابدان وقد منع من شربه من يعتد به من العلماء
والزهاد بمكة . وهناك جاهل جعل نفسه واعظاً وافق الفساق بحل شربه فقليل
له ما تقول في هذه الادارة على هذه الصفة فقال الشارع ادارة اللبن (كذا)
فقليل له اخطأت لم تكن ادارة اللبن على هذه الصورة . فهل يحل شربه على